بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث/

الجِهادُ الغزِّي

دراسة فقهية واقعية في ضوء الشريعة الإسلامية.

إعداد الباحث/

أحمد بن فتحي الصرفندي

02/8/2025

الإهداء

إلى خِيرة جندِ الله في أرضِه،

إلى عظماء وكبار فدائيي الإسلام في غزة،

إلى الذين بذلوا أرواحهم رخيصةً في سبيل الله،

فكانوا بحق خير جند الله ودرةُ الطائفة المنصورة بإذن الله.

إلى شيخي الإمام المُلهِم الشهيد الدكتور/

نائل بن غازي –رحمه الله–.

المقدمة

الحمد لله الذي شرعَ الجهاد ورفع به شأن العباد، فما تركهُ أحدٌ إلا وتمرغَ في وحل الذل والتبعيّة وسامهُ العدو سوء العذاب، والصلاةُ والسلامُ على النبي المجاهد الشهيد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

في زمنٍ تاهت فيه المعاني، وصرنا بحاجةٍ إلى إعادة تعريف المصطلحات،

حسب منهجيتنا الحاكمة، لا حسب الأهواء الضآلة والأبواق الفارغة،

ووضع النقاط على الحروف وتوضيح بعض اللبس الذي أصاب الكثيرين،

زمنٌ غابت فيه الجوانب الروحية وطغت فيه المادة،

زمنٌ تخاذل فيه من كُنّا نحسبهم أهل حق، وانشغل أهل الحق بالشيء الأهم،

فظنّ الجهولُ أنّه قد بلغ الأمر الأتم، فعاث خراباً وزاد بجهله في الأرض إفساداً،

يحملُ على أكتافه بضاعة الكساد، يبيعها في ساحة الدم فلم يزد بها إلا غماً على غم.

ولا نزعم أن أمثال هذا قد نجحوا، ولكنهم أصابوا بسهامهم المسمومة قلوبَ كثيرٍ من ضعاف الإيمان، فتسيّدت عندهم المادية وتغيّبت فيهم الجوانب الروحية،

فأصبحوا يريدون من الأمر كن فيكون، دونَ صبرٍ على تحمل الكُلفةِ ونتاجها،

دلّس علينا أهل الباطل فأصبحت الساحة الجهادية محلَ اتهام ومرمىً للسهام يقودها جهولٌ يجيد الكلام،

وللأسف كان لتلك السهام أثرٌ فوقع الكثيرون في قبضة السحرة فظنوا أن الكُلفةَ التي يدفعها الأخيار أشد وأقسى من تلك التي يدفعها المنبطحون الأشرار.

درّةُ الطائفة المنصورة –بإذن الله– أصابها عظيمَ خذلان، فكان فيهم قولَ النبي العدنان:

" يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلةُ على قصعتها.."

أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فجهزوا لها كثيراً من النخب المشيخية والفكرية –المزيفة– التي انقادت إلى أن تكون بوابة تحطيم صورة الجهاد،

وفي خضم هذه الوقائع، كلٌّ واحدٍ منّا على ثغر وسيسأله الله عن هذا الثغر،

فجئت بقلمي المتواضع أرمي عن إخوة الجهاد بسهم، لعله يصيب فيكون منه خيراً يفتح الله به مغاليق حدود النظر، ويأخذ قارئه من ضيق البصر إلى رحابة البصيرة،

ومن ضيق الفهم إلى سعة الحكمة، فكتبت هذه الورقات في ظروفٍ استثنائية أبرزها قصفٌ جوي وبحري وبري، إطباقٌ محكمٌ علينا، وحسبنا أن طالب الحق لا يتطلب الكثير، ويكفيه بعض إشاراتٍ منها يفهمُ.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم ب

" الجهادُ الغزي" دراسة فقهية واقعية في ضوء الشريعة الإسلامية ".

رغبةً في فهم التأصيل الشرعي للجهاد، وبيان مدى انطباق أحكام الفقه عليه، وتحليل ما يطرحه الواقع من إشكالات، وذلك في ضوء النصوص الشرعية وأقوال العلماء المعتبرين.

كما ويهدف البحث إلى:

. بيان المفهوم الشرعي للجهاد وأنواعه.

. تحليل واقع الجهاد في غزة وأبعاده الفقهية.

. مناقشة الإشكالات المعاصرة المتعلقة بجهاد الدفع وموقف العلماء منه.

. دراسة التحول من الدفاع إلى الهجوم وأصل الجهاد الغزي من ذلك،

وحالة الطوفان أنموذجاً.

. إبراز دور الجهاد الغزي في إحياء روح الأمة.

. دور السلاح وما يترتب على تسليمه.

وسيعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع النصوص الشرعية والآراء الفقهية –المتاحة في الظروف التي يعيشها الباحث

من شح المراجع والمصادر بسبب الأوضاع الراهنة الصعبة–،

ومقارنتها بالواقع الغزي للخروج بنتائج علمية تبين مدى التوافق

بين النص والواقع.

الباب الأول: التأصيل الفقهي للجهاد.

الفصل الأول: مفهوم الجهاد في اللغة والاصطلاح.

- الجهاد لغةً:

مصدر من الفعل "جَهَدَ" ويأتي بمعنى بذل الجهد والطاقة في دفع ما يُكره أو في تحصيل ما يُحَب.

قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ". (العنكبوت:69)

ففي اللغة الجهاد لا يقتصر على القتال، بل يشمل كل بذلٍ ومشقة في سبيل تحقيق غاية سامية.

- الجهاد اصطلاحاً:

عند الشافعية: بذل الوسع في قتال الكفار، أو في إقامة الحجة عليهم.

عند الحنابلة: دعوة الكفار إلى الإسلام وقتالهم إن أبوا.

عند الحنفية: الدعوة إلى دين الحق، وقتال من لم يقبله.

ابن تيمية: الجهادُ اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من قولٍ وعمل، يبذل فيه الجهد في طاعة الله ومقارعة أعدائه.

فيتبين لنا أن الجهاد في حقيقته الشرعية أوسع من مجرد القتال، بل هو منظومة متكاملة من البذل والعطاء في سبيل الله، تتدرج من مجاهدة النفس إلى دفع المعتدين، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدم الأصنام الحجرية في مكة إلا بعد أن هدم الأصنام الشعوريّة في قلوب صحابته.

الفصل الثاني: أنواع الجهاد وأحكامه.

يقسم العلماء الجهاد إلى أنواع متعددة، بحسب الميدان الذي يقع فيه، وإن أبرز هذه الأنواع:

- أولاً: جهاد النفس:

ويعتبر الأصل والأساس، لأن الإنسان إذا استطاع أن ينتصر على نفسه بكل ما فيها استطاع أن ينتصر على أيّ شيءٍ سواها.

ويشمل هذا الجهاد:

* تعلم العلم والعمل به.

* مجاهدة النفس على الطاعة وترك المعصية.

* الصبر على الابتلاء والثبات على الإيمان.

- ثانياً: جهاد الشيطان:

ويكون بِردّ وساوس الشيطان وشبهاته، بتحقيق التوكل على الله والاعتصام به، فتجد عندها أن مجاهدته سهلة، قال تعالى: " إن كيد الشيطان كان ضعيفا " (النساء:76).

وكم نهانا القرآن الكريم عن اتباع خطوات الشيطان التي تقودك إلى الضلال والخسران المبين.

– ثالثاً: جهاد الكفار:

وهو أشهر أنواع الجهاد، فعندما نسمع مصطلح الجهاد يتبادر إلى أذهاننا جهاد الكفار، ومنه:

* جهادٌ بالسيف:

وهو القتال المشروع لدفع العدوان ورفع الظلم بالقوة.

* جهادٌ بالمال:

ويكون منه الإنفاق لدعم المجاهدين ونصرة الدين بالمال والعتاد ومقومات المعركة.

* جهادٌ باللسان:

ويكون بالخطب والمواعظ بالتحريض على الجهاد في كل منبرٍ، وعلى أي منصةٍ إعلامية، ونشر العقيدة وردّ الشبهات وتوضيح الواضحات ورفع اللبس عن الأمة.

– رابعاً: جهاد المنافقين:

ويكون بكشفهم والتحذير منهم ومن خطرهم الجسيم، فهم أكثر من يؤثرون ويثبطون الأمة وشبابها ويدفعونها نحو الخنوع والقعود بلسانٍ حلو زائف يحمل في طياته سمّاً عظيماً، وإن هؤلاء لا يقلّون خطورةً وفساداً عن الكفار، وقد جمعهم الله في موضعٍ واحد، فقال تعالى: " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير " (التوبة:73).

- خامساً: جهاد الظالمين:

ويتحقق ذلك بإقامة الحق والعدل في وجه الظلمة وأشهرهم حكام الشعوب وقادتها،

وهذا من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإن من مخاطر السكوت عن هذا الجهاد صناعة الطغاة وتأليههم، فلا يجدون لهم رادع، فيظنوا أنهم لا يخطئون ومنزّهون عن ذلك-والعياذ بالله-.

المبحث الثاني: أحكام الجهاد:

وفي الحديث عن أحكام الجهاد في هذا البحث، نخصص إطلاق الحكم على الجهاد الأشهر ألا وهو "جهاد الكفار" ويكون منه نوعان وعلى إثرهما حكمين.

- النوع الأول: جهاد الطلب:

وحكم هذا الجهاد " فرض كفاية ". أي إذا قام به البعض سقط عن الباقيين.

وسيأتي معنا تفصيلٌ دقيق فيما هو قادم.

- النوع الثاني: جهاد الدفع:

أي إذا هاجم العدو بلاد المسلمين، أو أن يكون المسلم على ثغرٍ لا يقوم به غيره.

وحكمه " فرض عين ". أي واجبٌ على كل فردٍ عاقلٍ مسلم.

الفصل الثالث: الجهاد شروطه، ضوابطه وأهدافه.

حتى لا ينظر إلى الجهاد بقتال المشركين على أنه عمل فوضى أو إراقة دماء بغير حق، كان لا بد من وجود شروط وضوابط للجهاد في سبيل الله.

المبحث الأول: شروط الجهاد في سبيل الله.

يقول ابن قدامة: " ويشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط، الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والسلامة من الضرر ووجود النفقة ".

* الإسلام: فلا جهاد على غير المسلم.

تنويه: الذمي الذي يعيش تحت ظل دولة الإسلام يكون عليه الجزية مقابل حمايته فلا يكون عليه جهاد.

* البلوغ: فلا جهاد على الصبيان.

* العقل: فلا جهاد على المجنون.

* الحرية: فالعبد لا يجب عليه الجهاد.

فلقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يبايع الحر على الإسلام والجهاد، ويبايع العبد على الإسلام دون الجهاد.

* القدرة: فلا جهاد على العاجز لمرض أو لعذر حال بينه وبين الجهاد.

* وجود النفقة:

لقوله تعالى" ليس على الضعفاء ولا على المريض ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله " (التوبة:91).

* إذن ولي الأمر:

فلا بجوز الخروج للجهاد إلا بإذن الإمام أو من ينوب عنه.

ولنا في هذا الأمر باب سنفصل فيه في الفصل الثالث من البحث–إن شاء الله–.

* أن يكون الجهاد لرفع الظلم ودفع العدوان.

المبحث الثاني: ضوابط الجهاد:

* النية الخالصة لوجه الله تعالى، فيجب أن يكون الجهاد ابتغاءً لوجه الله وإعلاءً لكلمته ولدينه الحق.

* الالتزام بآداب القتال:

منها عدم قتل الشيوخ والنساء والأطفال المدنيين، وعدم التمثيل بالجثث،

وتجنب الغدر وتخريب العمران،

وقد كان من وصايا أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– لجنده قبل فتح البلاد:

" لا تقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا تقطعوا شجرةً ".

* المعاملة للأسرى بالرفق والإحسان.

* التوكل على الله والأخذ بالأسباب والاجتهاد في القتال.

* عدم المبالغة في القتل:

قال الله تعالى: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " (البقرة:190).

المبحث الثالث: أهداف الجهاد:

الجهادُ في الإسلام ليس غايةً في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق مقاصد سامية وغايات عظيمة ومن أهمها:

* نصرة دين الله ورفع راية التوحيد والتمكين لدين الله، وإعداماً للفتنة.

قال تعالى: " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةً ويكون الدين كله لله " (الأنفال:39).

* الدفاع عن النفس، الأرض، العرض، ورد العدوان الواقع على المسلمين.

قال الله تعالى: " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير " (الحج:39).

* وسيلة لإنقاذ الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال من ظلم الطغاة.

قال الله تعالى:

" وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والولدان " (النساء:75).

ومن أهداف الجهاد:

* نشر قيم العدل ورفع الطغيان والفساد عن الناس كافة، وتحقيق الأمن والاستقرار لهم.

* إزالة العقبات أمام دعوة الإسلام، فبالجهاد يترك للناس حرية الاختيار حين تتهيأ لهم الظروف وتكون البيئة خالية من الطغاة والإكراه والتسلط.

* والأعظم من ذلك أن المجاهدين موعودون بأعظم الأجر ألا هو الجنة،

قال الله تعالى: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (التوبة:111).

الباب الثاني: واقع الجهاد في غزة.

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن الصراع مع الاحتلال.

- صراعاتها فيما قبل الإسلام:

إن الذي يعرف غزة قبل الإسلام " في الجاهلية "، يعرف أنها كانت مدينة ساحلية مزدهرة ومركزاً تجارياً مهماً على طريق القوافل بين بلاد الشام واليمن، وإن جد النبي –صلى الله عليه وسلم– هاشم بن عبد مناف أحد سادة قريش وهو أول من سن

رحلتي الشتاء والصيف، وكان يتاجر في الشام، وقيل أمه مات ودُفن في غزة، حتى سُميت

ب " غزة هاشم" تكريماً له، وإن رمزية الاسم تعكس ارتباطاً قوياً بين مكة وغزة في التاريخ الجاهلي وكذلك الإسلامي.

وقد نشبت حروبٌ في الجاهلية كحرب " البسوس أو داحس أو الغبراء "، وحينها لم تكن غزة طرفاً مباشراً في الصراع كونها كانت مدينة ساحلية وقد نشبت الحرب في الصحراء التي كانوا فيها، ولكنها تأثرت بتأثر اقتصادها إثر تلك الحرب،

وإن من الصراعات الكبرى حول غزة فيما قبل الإسلام، أنها كانت تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية،

مما جعلها تتعرض أحياناً لهجمات من الفرس في حرب بيزنطة وفارس، فكانت تستعمل غزة كخط دفاع أو كممر استراتيجي.

على هذا فإن غزة في الحروب التي قامت في الجاهلية لم تكن مركزاً مباشراً للحروب بل كانت جزءاً من الصراعات، ومرتبطة بالتفاعلات السياسية والتجارية مع القبائل العربية، مما جعلها تتأثر وتشارك بطريقة غير مباشرة في بعض النزاعات.

- صراعاتها في عهد الإسلام:

لهذه البقعة الصغيرة تاريخُ حافل من الصراعات منذ صدر الإسلام وقد مرت بمراحل بارزة في العهد الإسلامي، وقد فُتحت غزة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على يد القائد الداهية عمرو بن العاص -رضي الله عنه- في سنة 13هـ/634م، وقد كانت من أوائل مدن فلسطين التي دخلها الإسلام.

لكنها لم تسلم من الصليبيين في القرن الحادي عشر والثاني عشر ميلادي، فقد احتلها الصليبيون لفترة حتى حررها صلاح الدين الأيوبي سنة 1187م بعد معركة حطين.

وقد مرت في محطة صعبة دار فيها صراع ضد الفرنجة والتتار وخصوصاً في عهد الظاهر بيبرس، ومن ثم استقرت نسبياً في العهد العثماني، مع بقاء التهديدات من الحملات الغربية.

فنجد أنها لم تكن بعيدة عن الصراعات بل كانت ساحة عبور ومعبراً استراتيجياً في أغلب الفتوحات الإسلامية والمعارك التاريخية الكبرى في مقاومة الصليبيين والتتار وغيرهم، وبقيت صامدة في وجه الاحتلال المتعاقب، وهذا ما عرف عنها في العصور السابقة.

– صراعاتها في العصور الحديثة:

لم تكن غزة مدينة عادية إن تعلق الأمر بالقضية الفلسطينية، بل كانت هي بوابة الدولة وقلاعها فإن سقطت سقطت الدولةُ كلّها، فلقد جرت ثلاث معارك قرب غزة في الحرب العالمية الأولى (1917) بين العثمانيين والإنجليز عرفت باسم " معارك غزة "،

في المعركة الأولى والثانية استطاع العثمانيون صد الهجوم البريطاني، ولكنهم فشلوا في المعركة الثالثة وتمكنت القوات البريطانية على إثرها من احتلال غزة، مما مهد الطريق لاحتلال دولة فلسطين.

عقب سقوط غزة أصبحت جزءاً من الانتداب البريطاني على فلسطين، وشهدت تغييرات إدارية واقتصادية، وكما شهدت المدينة احتجاجات واسعة على وعد بلفور (1917)

ودعمه لإقامة وطن قومي لليهود.
لم تكتفي غزة عند هذا القدر، فقد كانت كلمةً قوية وشعلةً حارقة في الثورة الفلسطينية الكبرى (1936–1939)، التي انطلقت رفضاً للانتداب البريطاني والهجرة الصهيونية
المتزايدة، وقد واجهت حينها قمعاً شديداً.

سجل التاريخ أن أهالي مدينة غزة كانوا على وعي بالخطر الزاحف نحوهم حتى ولو بدا بعيداً عنهم، فقد كانت لهم رؤية بعيدة ودراسة موسعة للواقع، ولكن سرعان ما يقابلهم الخذلان وعدم اللامبالاة ممن كانوا يرجى منهم خيراً.
فبالرغم من أن أغلب النشاط الاستيطاني الصهيوني كان متمركزاً في شمال ووسط فلسطين، إلا أن أهالي غزة قد خرجوا قي مظاهرات تندد بالسياسيات البريطانية، وقد كان لأبنائها وعلمائها ومشايخها وعائلاتها دوراً بارزاً في التأثير الشعبي الكبير، ويذكر التاريخ أنها لم تكن قبل عام 1948م مركزاً للمشروع الاستيطاني، ولكنها كانت حاضرة في كل محطات الرفض الوطني لذلك المشروع، وقد تحملت منذ وقتٍ مبكر تبعات الاحتلال، لتشكل لاحقاً أحد أهم رموز المقاومة في فلسطين بل أعظمها.

– نكبة 1948م وما بعدها:
عقب إعلان قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي واندلاع الحرب وقتل آلاف الفلسطينيين وتهجيرهم، أصبحت غزة إحدى المدن التي شكلت ملاذاً لعشرات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين المطرودين من مدنهم وقراهم، وقد خضعت غزة وقتها للإدارة المصرية، فيما احتلت إسرائيل باقي أراضي فلسطين.

احتلت إسرائيل غزة خلال العدوان الثلاثي على دولة مصر عام (1956م)، ولكنها انسحبت لاحقاً تحت ضغط دولي، وقد كانت هذه التجربة الأولى المباشرة لغزة مع الاحتلال الإسرائيلي.

تم احتلال غزة بالكامل بعد حرب حزيران (نكسة 1967م)،

وبدأت مرحلة جديدة مع الاحتلال بالمواجهة المباشرة شملت الاعتقال والقتل وكآفة أنواع القمع العسكري، وتوسيع المستوطنات وتوسعها، والتضييق على السكان.

انطلقت شرارة الانتفاضة الأولى (1987م) من جباليا شمال قطاع غزة، وأصبحت غزة رمزاً للمقاومة الشعبية في وجه الاحتلال الغاشم، وبرزت في هذه الفترة حركات أبرزها

حركة المقاومة الإسلامية حماس وحركة الجهاد الإسلامي.

في اتفاقية أوسلو (1993م) تسلمت السلطة الفلسطينية إدارة القطاع جزئياً بعد الاتفاق، وقد انسحبت إسرائيل من غزة عام (2005م) من شدة ما لاقت من العمل الشبابي المقاوم، ولكنها أبقت الحصار على غزة محكماً براً وبحراً وجواً.

في العام (2007م) عقدت في غزة انتخابات وفازت بها حركة حماس، وحدث صدامٌ بينها وبين السلطة الفلسطينية، وقد استطاعت حماس البقاء على حكمها والسيطرة على غزة، ما دفع إسرائيل ومصر لفرض حصار خانق على غزة وما زال إلى يومنا هذا!

وبدأت حينها الحروب الإسرائيلية تتوالى على غزة، وكانت البداية في عام (2008م) شنت إسرائيل حرباً شرسة على مقدرات الحكومة الفلسطينية وعلى قيادتها وأفرادها،

لتتمكن من القضاء عليها وشل أركانها، وقد استمرت الحرب لأكثر من عشرين يوماً، أطلق عليها العدو إسم (عملية الرصاص)، في حين أن المقاومة قد أسمتها (معركة الطوفان).

خلّفت هذه الحرب آلاف الشهداء ودمرت البنى التحتية وخاصةً مناطق شمال غزة، ولم تحقق أهدافها بالقضاء على المقاومة في غزة.

في عام (2012م)

قام الاحتلال الإسرائيلي باغتيال القائد في كتائب الشهيد عز الدين القسام أحمد الجعبري، وعلى إثر هذا الاغتيال قامت المقاومة بإطلاق الصواريخ تجاه إسرائيل، وكانت المفاجئة حينها أن الصواريخ ولأول مرة في تاريخ الصراع تصل إلى قلب إسرائيل عاصمتهم–المزعومة– تل أبيب!

وقد استمرت الحرب ثمانية أيامٍ فقط، وانتهت بوساطة مصرية في عهد الرئيس محمد مرسي. أطلق العدو الإسرائيلي على هذه الحرب (عمود السحاب)، في حين أن المقاومة قد أطلقت عليها (حجارة السجيل).

في منتصف عام (2014م)

بدأت إسرائيل بشن الحرب على غزة وقد أطلقت عليها (الجرف الصامد)،

وقد أطلقت عليها المقاومة (العصف المأكول)،

وقد استمرت 51 يوماً، وقد أسفرت هذه الحرب عن آلاف الشهداء والجرحى وتدميراً واسعاً للبنية التحتية.

وقد مر على هذه البقعة الصغيرة جغرافياً العظيمة بكيانها وبأس رجالها، جولات تصعيد متعددة منها: 2019/2021/2022.

– وأخيراً إلى الوقت الذي نكتب فيه هذا البحث، الحرب التي اندلعت في السابع من أكتوبر عام 2023م، ذلك اليوم الذي أبلت فيه المقاومة بلاءً حسناً حين اخترقت الحدود وداست اليهود في عقر بلادهم –المزعومة– وشهد العدو أنه أسوء يوم مر في تاريخه،
فشن في المقابل حرباً شرسة على غزة لم يترك فيها شيئاً على حاله، وتعد هذه الحرب من أعنف ما شهدته غزة في تاريخها، وقد مر عليها قرابة العامين وما زالت الحرب قائمة.

هذه غزة التي لم تعرف يوماً استقراراً، ولكنها تثبت زمناً بعد زمن أنها عصيّة على الانكسار، بمقاومتها وشعبها وتاريخها الممتد في مواجهة الاحتلال الغاشم عبر الزمن، هي التي أوصلت رسالتها للعالم عبر الدم أن التكلفة التي ندفعها مهما عظمت فهي قليلة أمام نيل حريتنا وكرامتنا.

الفصل الثاني: مشروعية مقاومة الاحتلال في ضوء فقه الدفع.

حين تغتصب الأرض، تُهجر الشعوب، ويستباح العرض، تتحول المقاومة من خيارٍ سياسي مطروحٌ على الطاولة محتمل النقاش فيه، إلى فريضة شرعية ودفعاً واجباً،

وسبيلاً من سبل البقاء، فيكون القتال قتالُ ضرورة لا اختيار.

المبحث الأول: فقه الدفع، لغةً واصطلاحاً.

الدفع لغة: الإزالة والدفاع.
الدفع اصطلاحاً: هو الجانب الفقهي المتعلق بوجوب دفع العدو الصائل أو المحتل حين يغزو ديار المسلمين.

المبحث الثاني: الفرق بين جهاد الدفع والطلب.

- جهاد الدفع: وهو ما يكون بالرد على الاعتداء ودفع مرتكبه حين يقع عليك.
* حكمه: فرض عين.
* لا يشترط فيه إذن الإمام لأنه جهاد ضرورة.

- جهاد الطلب: وهو ما يكون هدفه التوسع بنشر الإسلام خارج ديار الإسلام.
* حكمه: فرض كفاية.
* يشترط فيه إذن الإمام.
قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله–:
" وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع القتال، فيجب على الإنسان أن يدفع عن نفسه وحرمه وماله بقدر استطاعته، ولا يشترط له إذن ولي الأمر ".

* وإن جهاد الدفع يعتبر جهادٌ فطري، يوجب على المرء إن وقع عليه ظلمٌ فيما يملك أن يدافع عنه ويسترده بما يستطيع دون أن يملي عليه أحد في ذلك.

* جهاد الدفع يكون حالاً فور وقوع العدوان،
أما جهاد الطلب فله توقيت يخطط له بتقدير الدولة وقيادتها،
وإن أهم خاصية في جهاد الدفع وترفع عن المرء عجزه وخنوعه هي أنّه لا يرتبط بتكافؤ القوى، بل بالواجب الشرعي.

المبحث الثالث: أدلة مشروعية مقاومة الاحتلال في ضوء فقه الدفع.

– من القرآن الكريم:
قال الله تعالى: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا " (البقرة:190).

قال الله تعالى: " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والولدان النساء " (النساء:75).

– من السنة النبوية:

حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد " (رواه الترمذي).

ومنها ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الدفاع عن المدينة في أحد والخندق.

– من أقوال العلماء:

قال الإمام النووي: " إذا نزل العدو بساحة بلد، وجب على كل من يمكنه القتال أن يخرج ".

الإمام ابن تيمية: " وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع القتال، فيجب على الإنسان أن يدفع عن نفسه وحرمه وماله بقدر استطاعته، ولا يشترط له إذن ولي الأمر ".

ويقول الإمام المرغياني: " فإن هجم العدو على بلد وجب على جميع الناس الدفع، تخرج المرأة بعير إذن زوجها، والعبد دون إذن المولى، لأنه صار فرض عين ".

والإمام الزيلعي: " الجهاد فرض كفاية ابتداء، ولا يجب على صبي وامرأة وعبد وأعمى ومقعد وأقطع، وفرض عين إن هجم العدو، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن زوجها وسيده، لأن المقصود لا يحصل إلا بإقامة الكل فيجب على الكل.

الفصل الثالث: الانتقال من حالة الدفاع إلى الهجوم، وطوفان الأقصى أنموذجاً.

إن الذي ينظر إلى واقع الصراع الفلسطيني مع الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية الانتفاضة الأولى وحتى عام 2023م، يلحظ أن المقاومة كانت في حالة دفاع وردة فعلٍ تنتج عن فعلٍ أحدثه العدو الإسرائيلي، فكان على إثره حالة الدفاع التي نراها

من المقاومة الفلسطينية، وهذا الأمر لم ينقص من مكانة المقاومة الفلسطينية وقدراتها بل كان يقيس مدى نبض المقاومة وجهوزيتها وحضورها من وقتٍ لآخر، وقد واجهت المقاومة الفلسطينية، دولة قوية تمكنت من بناء ترسانة عسكرية ضخمة من خلال استعانة هذه الدولة بإخوانهم من الإنجليز ومن ثم الأمريكان، ولا غنى لها عن إخوتهم من صهاينة العرب الخونة، فتمكنوا من فرض سيطرتهم على البلاد، فإن المقاومة قد واجهت ترسانة عسكرية، وخذلاناً كبيراً من أمتها التي أصابها حالة ضعف فتمكن الأعداء منها،

فلو أن الدولة العربية استمرت في دعم المقاومة والانخراط فيها من وقتٍ مبكر ودون تراخٍ أو توقف، لما استمر الاحتلال ولم يتمكن من بناء دولته التي نراها اليوم، والحق أحق أن يتبع، فلولا المقاومة التي كانت بأقل الإمكانيات وفي محاولاتها المستمرة – على ضعفها وعدم قدرتها على الحسم– لتمكن اليهود من هدم الأقصى وإقامة الهيكل والتوسع بشكل يهدد جميع دول المنطقة ولا سيما دول الطوق، وإني أخشى على تلك الدول بعد الخذلان الذي أبرزته منها وأوصلت رسالة من خلاله للعدو أنها خاضعة خانعة له، فبلا أدنى شك سيحاول السيطرة عليها والتوسع فيها فهذا ديدنهم.

وكذلك إذا استمرت هذه المقاومة ووجدت لها أيدٍ بل يداً واحدة ونمت وتمددت –وهذا حاصلٌ إن شاء الله– ستستفيد من التراكمات عبر العقود الماضية لتثب إلى مرحلة الحسم بإذن الله، ولا سيما مع تفاعل الأمة الإسلامية وصحوتها التي شهدناها مع طوفان الأقصى، ولولا المقاومة التي خرجت بالحجارة وضحك منها المثبطون القاعدون، لما تطورت إلى أن تصبح المقاومة بالسكاكين والأسلحة الخفيفة، وصولاً إلى الأحزمة الناسفة التي تركت في العدو أثراً لن ينساه، وأخيراً وليس آخراً الصواريخ التي ضربت العدو في عقر داره–المزعومة–.

والحدث المفاجئ والغير مألوف على المقاومة الفلسطينية هو أن يكون لها السبقُ في الضربة الأولى "الضربة الاستباقية" وبدأ الحرب من طرفها!

وهذا ما كان في عام 2023م يوم السابع من أكتوبر فيما عرف ب

" معركة طوفان الأقصى"، والتي اعترف العدو بأنها أشرس ضربة تعرض لها الكيان الصهيوني منذ نشأته، وقد جاءت هذه الخطوة بعدما أعدت المقاومة العدة على قدر استطاعتها

واستفرغت في هذا الأمر وسعها، واتخذت قرار التحول من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم، وقد أعدت من السلاح والعتاد والتدريب وجلب المعلومات الاستخبارية عن العدو وقاداته، وغير ذلك الكثير مما يطمئن النفس ويشفي الصدور من خلال ما شاهدنا في ذلك اليوم عبر الشاشات وأمام مرأى العالم أجمع، وقد رأينا أن واجب الإعداد قدر الاستطاعة قد تحقق،

ولا يخفى على عاقل الصعوبة والشدة وسوء الحال الذي ينتج من أثر الحرب، فقد قال تعالى: " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (البقرة:216).

وكذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يرفض أمر القتال بحجة العقل، فلا يمكن بأي حال أن يُظن في العقل خيراً ورشداً إن لم يتبع الوحي في العقيدة والشريعة، وهذه حقيقةٌ تاريخية يشهد بها العدو والصديق، فإن العرب بل أمم الأرض كلّها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم تنفعهم عقولهم ولم تدلهم على مصالحهم –لأن العقل وحده لا يحدد المصلحة والمفسدة–.

فالذين يلقون اللوم على المقاومة بوصفهم إياها على أنها متهورة ولا تدرك حجم قدراتها أمام قدرات العدو، أغبياءٌ لا يفقهون شيئاً، فالمقاومة هي المقاومة ولا شيء يعلو على صوتها، وهي التي تعرف متى تُقدِم ومتى تُحجِم، فهي التي تقدر بمعاييرها وتقيس بمقاييسها وتدرك بخبراتها المتراكمة والممتدة لأكثر من خمسة عشر سنة

قادت فيها حروب كثيرة حجم المصالح والمفاسد، وقدر المغنم والمغرم، والمنفعة والمضرة، وجهادُ العدو الذي تدعمه دول الغرب كآفة وتُطبع معه دول العرب عامة لا يمكن أن يسمى فتنةً إلا في فقه المثبطين القاعدين المتخاذلين والمنصاعين لأمراء الفتنة الذين خرجوا من قرن الشيطان، فاستحيوا من أنفسكم التي أخفت اللحى قبائحها، ولا تنسبوا للسلفية أنفسكم، فإن اتباع السلف يكون في جهادهم قبل كل شيء.

صراعٌ بين حقٍ واضح كفلق الصبح، وباطل مظلم كغسق الليل،
صراعٌ بين مقاومة تدفع العدو عن الأوطان التي اغتصبها والمقدسات التي استباحها، وبين محتلٍ غاصب غاشم لا حق له في شيء قط.

وإن الأمور لا تقف على الحسابات المادية الضيقة، بل تتجاوز ذلك إلى آفاقٍ من المعاني التي تحييها المقاومة في الأجيال، وإن العدو بالرغم مما أصابه داخلياً وخارجياً وتأثيراً على علاقاته السياسية مع الدول إلا أنه يرفض ولو بمجرد القول إن يقول أصابني كذا وكذا ويسعى إلى طمس الحقائق وتزويرها فما السبب؟
حتى لا يرسّخ في عقول الأجيال ولا يريد لهذا أن يكون –وإنه لكائنٌ بإذن الله– إن المقاومة لتصنع وتحقق ما لا يحققه شيءٌ غيرها،
ولا يخفى على أحد ما أحدثه الطوفان من هزةٍ عالمية، وخلخلة للنظام الدولي وزلزلة للمنظومة الطاغوتية التي ربطت مصائرها بمصير دويلة الكيان، وما يقابله من صحوة جهادية في النفوس، والتجرؤ على كسر صنم الطغاة.

وفي الكيان ذاته كم شهدت دولته –المزعومة– حالاتٍ من الهجرة خارج حدود الكيان الصهيوني؟
فقد سجلت الأشهر الثلاث الأولى من الحرب هروب أكثر نصف مليون إسرائيلي خارج بلادهم–التي يزعمون–.

فمن لم يلحظ تصدع المشروع الصهيوني في بلادنا بعد أحداث السابع من أكتوبر وما أصابه من ضررٍ أتى على جذوره المتهالكة ودولته المزعومة، فهو بحاجة إلى تصفية عقله وتنقية قلبه ليرى الأمور على حقيقتها.
وحتى نرفع اللبس على قارئ هذا الفصل إن راوده شيءٌ من ذلك،
فعندما ذكرنا حالة الانتقال التي أحدثتها المقاومة فقد قلنا أنها انتقلت من حالة الدفاع إلى الهجوم، ولم نقل من حالة الدفع إلى حالة الطلب، فهذا مهم جداً في موضوع بحثنا هذا وضروري توضيحه للقارئ، لأن مقاومتنا في أصلها وإلى يومنا هذا وحتى في انتقالها الذي وصلت إليه من الدفاع إلى الهجوم هي في حالة "جهاد دفع" تدافع عن أرضها المغتصبة من قبل العدو الصهيوني.

الفصل الرابع: موقف العلماء المعاصرين من الجهاد في غزة.

لا يخفى على أحد أن الجهاد في غزة يعتبر نموذجاً حيّاً للمقاومة والصمود في وجه الاحتلال، وفي هذا الشأن وعلى وجه الخصوص بعد السابع من أكتوبر فيما عُرف ب "طوفان الأقصى"، فقد أثار تفاعلاً واسعاً في الأوساط الإسلامية والعربية والغربية، وقد يتساءل البعض عن التكلفة وآخرون عن النتائج ومنهم من غير مكترث لكل المجريات، وفي هكذا أمور لا بد وأن يكون للمرء المسلم العاقل مكاناً يصطفُ

فيه وألا يبقى منعزلاً عن الوقائع ولا يليق به أن يبقى في المناطق الرمادية ولا ينبغي له، وفي هذه اللحظات الفارقة في تاريخ الأمة فإن موقف العلماء يكون محط أنظار العوام الذين ينتظرون من " ورثة الأنبياء " موقفاً واضحاً يحدد لهم ما يجب وما لا يجب حتى لا يختلط حابلُ الأمور بنابلها.

وأعان الله عوام الناس وثبتهم وأبعدهم عن الفتن ظاهرها وباطنها ما علموا منها وما لم يعلموا، فكم من عالمٍ انتظروا منه موقفاً واحداً فخذلهم بصمته، أو بما هو أشد من ذلك حين اصطفّ في صفوف المتخاذلين المثبطين، وكلما تكلم في الأمر سقط في أعين أهل الحق، ولم يكن هذا غريباً في زمن الفتن التي نزلت علينا كقطع الليل المظلم.

ومع تعدد المواقف السياسية والظروف الدولية وتفاقم الأحداث وتسارعها، برزت مواقف العلماء المعاصرين تؤكد على مشروعية الجهاد في غزة وتدعمه، وتوضح بعض اللبس الذي سوّقه بعض المرجفين لينالوا من المجاهدين،

ففي هذا الفصل نسلّط الضوء على أبرز هذه المواقف التي تبناها العلماء في تأييدهم لجهاد أهل غزة والتأكيد على مشروعية دعمه بكل الوسائل المشروعة.

– رئيس مركز تكوين علماء المسلمين في موريتانيا الشيخ محمد الحسن ولد الددو:

" إن على العلماء أن يبيّنوا الحق من الباطل فيما يتعلق بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وإن كان في هذا قطع رؤوسهم ".

وأردف قائلاً:

" إن ذمة المسلم لا تبرأ من مساعدة المسلمين في غزة، إلا عندما يستنفد كل وسائل النصرة المتاحة له ".

ويرى الشيخ أن الاكتفاء بالدعاء لا يكفي ولا يبرئ ذمة المسلم مما يجري إن كان قادراً على ما هو أكثر من ذلك،

ويرى كذلك أن حكام المسلمين لم يبذلوا شيئاً يذكر لوقف هذه الحرب التي بإمكانهم وقفها من اليوم الأول، ويقول:

" إن دماء من سقطوا فيها ستكون في رقابهم يوم القيامة ".

– وإن الذي يُلام هو المتخاذل الذي ترك إخوانه يقتّلون وهو ينظر إليهم، أما المجاهد الذي فعل الواجب عليه –وهو الجهاد في سبيل الله– فهذا لا يلام أبداً.

واستشهد على حديثه بما فعله الرئيس المصري الراحل محمد مرسي، عندما أوقف الحرب عام 2012، وبما فعله الملك فيصل بن عبد العزيز خلال حرب 1973، عندما استخدم سلاح النفط لمساعدة مصر.

ولم يكتفي بمطالبة العلماء وقادة الأمم بل طالب الشعوب أيضاً بالاعتصام سلماً لدفع الحكومات، نحو تغيير مواقفها من الحرب، دون الإخلال بنظام البلد أو الاعتداء على مؤسساته أو الجنوح نحو التخريب، لأن ذلك لا يجوز شرعاً.

وقد أزال بحديثه لبساً قد أصاب الكثيرين من الذين يلتفتون كثيراً للشائعات عبر قنوات الإرجاف والتخذيل.

فقد أورد أحاديث من يتهمون المجاهدين ويلقون عليهم اللوم في شن هذه الحرب وجلب المضرة لأنفسهم بمواجهة العدو وأنهم قد أخطأوا التقدير،

وإن الذي يحدد ويختار قرار خوض الحرب هو ولي الأمر؟

فقد ردّ على هذا الحديث بأن الجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يكون مضرةً وإلقاءً بالنفس إلى التهلكة، وإنما التهلكة تكون في مخالفة أمر الله عزوجل،

وأن الذي خاض الحرب في غزة واتخذ قرارها هم قادة غزة وولاة أمرها وهم أدرى بشأنها، عوضاً عن أنه جهاد دفع لا جهاد طلب كما فصلنا في الفصول السابقة من هذا البحث.

وكما ردّ على حديث أن المقاومة تتحمل النتائج المترتبة على هذه الحرب لوحدها، لأنها لم تقم باستشارة قادة الأمة في أمر الحرب.

فيقول الشيخ الددو:

" فكم من قائد يعمل تحت إمرة العدو؟ فهم غير مطالبين باستشارتهم، مخافة أن ينقل بعض الأطراف هذه المعلومات للعدو فتفشل مهمتهم ".

ويختم حديثه:

" على العلماء بيان الحق من الباطل بالدليل، وعدم كتمانه ولو كان الثمن قطع رقابهم، وإن دخول العالِم السجن أو التنكيل به عقاباً على بيانه للحق " لا يعتبر نوعاً من أنواع إلقاء النفس في التهلكة " وهم يدركون هذا جيداً، لأن التهلكة كلها في مخالفة أمر الله الذي بيده مقاليد كل شيء وله تصير الأمور.

– رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ/ علي محيي الدين القره داغي.

يقول: " وجوب الجهاد بالسلاح ضد الاحتلال في فلسطين على كل مسلم مستطيع في العالم الإسلامي، ووجوب التدخل العسكري الفوري من الدول العربية والإسلامية، وحصار العدو المحتل براً وبحراً وجواً، بما في ذلك الممرات المائية والمضايق وسائر الأجواء في الدول العربية والإسلامية ".

وفي لقاءٍ آخر وبعد اشتداد الامر على أهل غزة أردف قائلاً:

" وجوب إمداد المقاومة في غزة عسكرياً ومالياً وسياسياً وحقوقياً، وإنشاء حلف عسكري إسلامي لحماية الأمة وردع المعتدين وهذا واجب شرعاً بشكل عاجل ".

وختم حديثه قائلاً في الفتوى التي أصدرها:

" تحريم التطبيع مع العدو الصهيوني، وتحريم الإمداد بالبترول والغاز للكيان الصهيوني، وإعادة النظر في معاهدات السلام التي أبرمتها بعض الدول العربية مع الكيان المحتل.

– في حديث الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين عن غزة ذكرت ما يلي:

" نحيي صمود أهلنا في غزة، وفي مقدمتهم المجاهدون المرابطون في ميادين العز والشرف، وتؤكد أن المعركة مع هذا الكيان لن تنتهي إلا بزواله إن شاء الله، وأن خيار الجهاد والمقاومة هو الخيار القادر على ردع العدو واستعادة الأرض والكرامة وأن الحرب وإن كانت سجالاً يومٌ لنا ويومٌ علينا ولكن العاقبة للمتقين ".

– الهيئة العالمية لأنصار النبي صلى الله عليه وسلم:

" نطالب الحكومات الإسلامية أن تفتح باب الجهاد أمام جماهير الأمة، التي لن تتأخر عن نجدة أهل غزة، وقد سبق أن فتحتم الباب نفسه أيام جهاد الأفغان وغيره من البلدان، وإن كنتم لا تملكون القرار فافتحوا لنا المعابر لنغيث إخواننا الذين يموتون جوعاً وعطشاً ".

**

أشعر أن مهنة نقل الحقيقة وتوثيقها تحتم عليّ هنا أن أقول: إن هذه الخطابات التي أملوها علينا وأشبعونا منها حديثاً لا غير، قد أخذوا إذناً من حكوماتهم بأن ينطقوا

تلك الكلمات، ولو تجرأوا للنزول إلى الشارع وعمل موقف حقيقي مؤثر تجاه المستضعفين لذهبوا خلف الشمس، ولكننا جئنا نمدهم بالهتافات الفارغة والكلمات التي لا تسمن ولا تغني من جوع واستدعينا لهم الدموع، في حال كان حلفاء العدو المحتل يستدعون قواتهم والسلاح والعتاد ويمدونه للعدو، والله المستعان.

– الشيخ الجزائري سليمان بن عمار الأحمر الأنصاري

يقول: " يتحتم على المسلمين أن ينفروا لإخوانهم في غزة، وعلى أهل القدرة أن ينفروا خفافاً وثقالاً ".

– مفتي الديار الليبية الشيخ الصادق الغرياني،

يقول: " إن دفع الأموال لأداء العمرة لأكثر من مرة يعد إهداراً لمال يجدر به أن يدفع لأهل غزة، ودعم المقاومة الفلسطينية ".

– الشيخ الغزي الشهيد نائل بن غازي –رحمه الله–،

يقول: " لا تحسبوا أن الدم المسفوك في غزة هيّنٌ عند الله، إن هان الدم المسفوك في غزة في أعين الناس، فهو ليس بهيّن عند الله، بل هو أعظم من البيت الحرام الذي سيقصده ملايين المسلمين في هذه الأيام، ولا تظنوا مجرد ظن أن الكفر قد يعلو على الإيمان أو يكون له دائم سلطان!

فقد قضى الله وقدّر " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً "، نحن نخوض غمار أعظم المعارك تحت أنقى وأطهر راية، وأشرفها غاية ونبذل لها أنفس ما نملك

وأزكاها، رجاء أن يحدث دمنا فيكم يقظة، ويحيي فيكم باعث المدافعة التي لا عزّ إلا تحت لوائها، وكما عاتب الله الصحابة عتاب التوبيخ ليستفزّهم لداعي الجهاد فقال الله: " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً " (النساء:75)

فالعتاب موصولٌ فيكم يا أحفاد خير من وطأ الثرى، وأذلت صولاتهم الغزاة وخضع لسلطانهم الورى، أعجزتم خلق فرص النصرة وهي –بحول الله– كثيرة، ورضيتم بالقعود إخلاداً للحياة الوفيرة، فعشتم صورة الإسلام لا حقيقته، وعظّمتم الجهاد وخذلتم طريقته،

فمتى تستيقظون؟ ومتى تنهضون؟ ومتى تنتفضون؟

فالناس غاديان، وكل الناس يغدو، فبائعُ نفسه فمعتقُها أو موبقها!

ألا فاقصدوا بحر اليقظة، وتحللوا من قيد السلبية المرفوض،

وخلّوا عنكم قنوات الهروب من واجبكم المفروض،

والتاريخ شاهدٌ يسجل من حفظ وصان، ومن فرط وخان، وإننا وإياكم إن لم نلتقِ في الدنيا، فعلى حوض الرسول صلى الله عليه وسلم ملتقانا، فبأي وجه تحبون أن يقابلكم، وبأي العبارات يستقبلكم،

اللهم إنّا بالدمِ قد بلغنا فاللهم فاشهد ".

ربما لم تسعفني الذاكرة والمراجع في أن أدوّن في هذه الصفحات المتواضعة عظيم قول العلماء كلّهم ومواقفهم المشرّفة ونصرتهم لغزة وأهلها.

ولكن حسبي أن الله لا يضيع أجر المحسنين، فما يضرّهم إن نسيتهم أنا وذكرهم ربنا في ملأٍ عنده وأجزل لهم عظيم العطايا.

أما عن الذين أبوا إلا أن يذكرهم التاريخ في مزابله–أجلّكم الله–، وأبيت ألا أذكرهم مع أقوالهم ومواقفهم في هذا البحث فهم أقلّ من أن يذكروا هنا.
حفظ الله غزة ورجالاتها وجعلهم في الناسِ أئمة.

الباب الثالث: الجهادُ الغزي ما بين الشرع والواقع.

الفصل الأول: مدى انطباق شروط الجهاد على الواقع الغزي.

يعد الجهاد في غزة نموذجاً معاصراً من صور المقاومة الإسلامية تلتقي فيها النصوص الشرعية مع معطيات الواقع السياسي والعسكري، والشريعة الإسلامية تؤكد على مشروعية الجهاد دفاعاً عن النفس والعرض والأرض،
غزة تواجه واقعاً معقداً من الحصار والخذلان والتحديات الإقليمية والدولية، وزد على ذلك ثقل تكالب الأمة الإسلامية والعربية وتهربها من واجب النصرة، مما يجعل النظر في الجهاد الغزي ضرورة شرعية وفقهية لفهم موازين القوى ومعرفة معانيها التي تطرح كثيراً في النقاشات وعلى الشاشات، وضبط الخطاب الشرعي، وترسيخ المفاهيم في ضوء الواقع المعاصر.

في هذا الباب نتناول التوازن بين الجانب الشرعي للجهاد ومبادئه وأحكامه، وبين الواقع العملي الميداني الذي يفرض تحديات وتناقضات من منظرنا القاصر.

وحتى لا نطيل الحديث وندخل في الإطناب والمماطلة ونذكر ما ذكرناه سابقاً من تعريف الجهاد وشروطه فقد ذكرنا ذلك في الباب الأول من البحث.

أما في هذا الباب هناك الإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تطرح إما من باب تمني إزاحة الغشاء عن البصيرة المشوشة والوصول إلى تمام الرؤية واليقين، أو أنها تطرح من باب الدخول في الطعن والتشكيك فيما يفعله الرجال الأخيار في غزة،

وأهمها: مدى انطباق شروط الجهاد على واقع غزة؟

فنقول وبالله المستعان:

قياساً على الشروط التي سبق وذكرنا:

1. وجود العدو الصائل:

لا يخفى على عاقلٍ أن الاحتلال الإسرائيلي يعد عدواً صائلاً،

" والصائل هو المعتدي المباشر على الأرض والمال والعرض، ويباح للمعتدى عليه دفعه ولو بالقوة، حتى لو أدى إلى قتل الصائل، بشرط ألا يمكن دفعه إلا بذلك "، يحتل الأرض ويقتل الأبرياء، مما يجعل الجهاد ضده من باب جهاد الدفع، وهو فرض عين.

2. القدرة والإمكانات:

بالرغم من تواضع الإمكانات التي تمتلكها المقاومة في غزة قياساً على التطور العسكري في الأرض، إلا أنهم يملكون قدرات دفاعية وهجومية، ويحققون من خلالها ردع نسبي، ويثبت وجود القدرة ولو بدرجة كافية لرد العدوان، فالذي يقول أن الأصل

توازن القوى فهو لا يفقه شيئاً مما يقول، فالله عزوجل قال: " وأعدوا لهم ما استطعتم "، ولم يقل تمام القوة وتقاربها مع العدو، وقوله تعالى: " وكم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةٍ كثيرةً بإذن الله "،

فالمعيار لم يكن توازن القوى بقدر العمل والسعي على تحرير البلاد والعباد، ولو كانت المقاومة لا تملك القوة وتفرض وجودها لما بقيت في غزة بعد حروبٍ طاحنة شنت عليهم ولما طالبهم العدو علانيةً بتسليم السلاح!

فكلمة المقاومة حاضرة وبأسها في الميدان قائم،

وكنت أقولها على الدوام: " إن خانتك الذاكرة، وأثّر عليك المرجفين فنحن في زمن الصوت والصورة فارجع إليهما وشاهد ماذا صنعوا وكيف عبروا وجاسوا في الديار في يوم السابع من أكتوبر وهم في منتصف البلاد يصولون ويجولون، وحينها انقلب المشهد العالمي رأساً على عقب من هول ما حدث!

لأنهم كانوا يؤمنون بتوازن القوى فلم يتخيلوا يوماً أن هذا يمكن أن يكون حقيقةً، ولو أسلمنا مثلهم لذلك لاحتجنا إلى آلاف السنين لنتطور العتاد ونجهز العدة لكي ندافع عن بلادنا؟!

هذا بالنسبة للماضي القريب، أما اليوم فبعد مرور عامين على ذلك الحدث مرت حرب على غزة طاحنة وما زالت مستمرة إلى الوقت الذي أعد فيه هذا البحث، حصدت كل شيء، والعجب أننا ما زلنا نسمع العدو يطالب المقاومة بتسليم السلاح على شحّه، مخافة أن يتكرر السابع من أكتوبر مرةً أخرى، فهم يدركون جيداً أن صاحب الحق بأي شيءٍ متاح تحت يده سيحاول وسيعاود الكرة حتى ينال مراده، وهذا ما يؤكد قوة المقاومة ووجودها وفرض بأسها في أرض الصراع.

3. النية والمقصد:

وهذا في علم الغيب والله الذي يطلع على السرائر، ويعلم ما تخفي الأنفس في دواخلها، ولكن الواقع والأحداث الجارية تكشف لك عن بعض النوايا والمقاصد التي يهدفون إليها، وإن فصائل المقاومة في غزة دوماً ما كانت ترفع شعار الدفاع عن الأرض والدين، ولم يكن من شعاراتها هدف لتحقيق مكسب دنيوي، مما تحقق شرط الإخلاص ووضوح الهدف لديهم، وإنا نشهد أنه قد عُرض عليهم في حالات السّلم مراراً وتكراراً من دول العالم بأن يجعلوا من غزة مدينة تضاهي أكثر دول العالم تطوراً وازدهاراً مقابل أن يتركوا السلاح وينسوا أمر البلاد، حتى جاء على لسان أحد قيادات الفصائل: " عرضوا علينا حياةً رغيدة، ومدينة تشبه سنغافورة "، وكلّ هذا لم يثنيهم عن مقصدهم وهدفهم، وسيقول لك قائل: " رأينا كثيراً من قياداتهم يتنعمون في الحياة ويستغلون مناصبهم في سبيل العيش الرغيد ومتعة الحياة ورفاهيتها "،

بلا شك هذا حاصلٌ وارد، ولا تخلو جماعةٌ على وجه الأرض من الخطأ فلا أحد معصوم منه، وهذا الأمر لا يجعلك تنسف مجهود أمّة كاملة وجماعة عملت لسنين بمجرد أن أخطأ مجموعةٌ منهم، فحيثما قدمنا المشروع على الأشخاص فهمنا ذلك جيداً وارتحنا وأرحنا، فنحن نؤمن بالفكرة لا بأصحابها ونقدسها لا هم، فالفكرة لا يمكن أن تتغير أما الأشخاص فهم بشرٌ وجلّ من لا يخطئ.

4. المفسدة والمصلحة:

نفهم جيداً هذا العنوان ونعلم أن جلب المصالح لا يُقدّم على درء المفاسد فدرء المفاسد أولى، وفي حديثنا عن الجهاد ومقاصده لا يمكننا الاحتجاج بهذه القاعدة؟! فالله عزوجل يقول: " كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ".

فالقتال مكروهٌ لنا من جهة الطبع لمشقته وكثرة مخاطره والفقد العظيم الذي يترتب عليه، وقد قال تعالى: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ".

فالطبع يحب اللذة العاجلة والرقود إليها، ولكن رغم التضحيات والكلفة الكبيرة في الجهاد، إلا أن الصمت والخنوع ينتج مفسدةً أعظم، وإن التكلفة التي يدفعها العامل المجاهد–مهما كانت– أقل تكلفة من التي يدفعها المرجف القاعد الهامل، فالمقاومة تردع المحتل وتحافظ على هوية الأمة، مما يرجّح جانب المصلحة.

5. الانضباط الشرعي:

في المعارك السابقة مع المقاومة لم تكن المقاومة قد وقعت تحت هذا الاختبار، لنرى ما هو قدر انضباطها الشرعي في المواجهة، إلى أن كتب الله لهم لنا أن عشنا لهذا اليوم ورأينا السابع من أكتوبر وقد رأينا التحول في الصراع من الدفاع إلى الهجوم، وقد شهدنا بأعيننا ما بثّته المقاطع المصورة وكيف تعامل رجال المقاومة مع المدنيين والأطفال أثناء وجودهم في الأرض الذي يحتلها العدو، وقد خرجت بعض الفيديوهات التي تسيء للمقاومة في تعاملهم مع المدنيين والأطفال في ساحة المعركة، ولم تكن تلك الفيديوهات التي لا تتجاوز عدد الأصابع سوى من بعض فئة الشعب والعملاء الذين أرادوا أن يسيئوا للمقاومة ورجالها، وسرعان ما انتشرت الفيديوهات للمقاومة وبلباسهم العسكري الرسمي وكيفية تعاملهم مع المدنيين والأطفال، وقد أدحضت الروايات والأكاذيب والشائعات التي صنعها شرذمةٌ قليلون،

وقد–حفظهم الله– أبدوا التزاماً بالأخلاق الإسلامية في الحرب.

لم يكن هذا إلا قراءة الواقع قياساً على التعاليم الإسلامية ومدى انطباقها وتوافقها مع الواقع، رداً على من يقول: " الدين لا يرضى بذلك " أو " في الدين لا يكون الجهاد كذلك "، والأدهى والأمر أن مثل هذه الجُمل لا تخرج إلا ممن لا يفقه في الدين شيئاً، وقد كنت أخاطب من يريد النقاش في هذه الجُمل وأقول لهم: " هل تفقه في الدين شيئاً، لكي تحكم عليهم بهذا الحكم؟! "، فمن لا يأتيك بخطابٍ شرعي يجادلك في مسألةٍ ما فلا تقعد معه ولا تُضع وقتاً وجهداً، وأعرض عن الجاهلين، فغيرُ الخطاب الشرعي وما يترتب عنه سراب.

ومن خلال دراستنا السابقة وتفصيلنا في الفصول السابقة ولحاقاً بهم هذا الفصل يمكننا القول: أن شروط الجهاد المشروع منطبقة مع المشروع الجهادي في غزة، فكونه جهاد دفع لا يتطلب وجود إمام، ولا حتى إعلانٌ رسمي.

الفصل الثاني: التحديات الفقهية والاجتماعية.

إن الواقع الغزي المشتعل يعتبر ساحةً مفتوحة لاختبار المفاهيم الفقهية، وتحديد مدى قابليتها للتطبيق العملي وسط ظروف استثنائية صعبة كالتي يمر بها القطاع، ففي هذا الفصل أردت أن أسلط الضوء على أبرز الإشكالات الفقهية التي يواجهها العلماء عند الحديث عن جهاد غزة، وما يرافقه من أحداث فقهية داخل غزة، وما

يواجههم من تعقيدات اجتماعية تنعكس على البنية الدينية والنفسية والمجتمعية للأفراد.

– التحديات الفقهية:

من أبرز التحديات الفقهية التي تثير الجدل في واقع غزة، مسألة التترّس، وهي:

" أن يتحصن العدو بالمدنيين الأبرياء، سواء من أسرى العدو أو من المسلمين أنفسهم، وهذا ما شهدناه في الحرب البرية على القطاع، فيصعب على المقاتل المسلم أن يستهدف العدو دون أن يصيبهم بضرر ".

فقد أجاز بعض الفقهاء ذلك ولو حدث ضرر بالمتترّسين، إذا كان القتال ضرورة، وبشرط تحقيق المصلحة العامة، وكون الضرر بالمدنيين غير مقصود، ولا وجود لوسيلة أخرى في قتال العدو.

وللأسف في الوقت الذي يرفض فيه بعض العلماء الذين يدعون الفهم، تجد العدو يصرح بذلك ويؤمن بالتترس، فتجد قادته عندما يريدون لهدف ما أن يحققونه يقولون لشعبهم لا بأس إن ضحينا ببعض الجنود والمدنيين كرمة لمصلحة عامة وهي مصلحة إسرائيل!!

فتجده يفعل قانون " هانيبال " ما يعرف بالأرض المحروقة والذي يقضي من خلاله على جنده قبل عدوه من أجل إحباط عملية عدوه كي لا يجعلهم يحققون انتصاراً عليه.!! وفقهاؤنا إلى اليوم يحبذون الذل والهوان وفقد الكرامة حفاظاً على أنفسهم!!

في واقعنا الغزي، العدو الصهيوني يستهدف المدنيين عمداً، في الوقت الذي تعمل فيه المقاومة من داخل القطاع ومن بين المدنيين –وهم في الوقت ذاته من المدنيين الذين قرروا أن يكون لبلادهم شأنٌ وكرامة ورفعة– وفي مناطق مكتظة أحياناً بحكم طبيعة غزة الجغرافية،

فيخرج عليهم بعض الفقهاء الذين لم يبصروا واقعاً ولم يملكوا بصيرةً، ومنهم من يسوق إلى الخطاب والفتاوى سوقاً، فيرجّحوا إيقافاً مؤقتاً أو مراجعة تكتيكات المقاومة، لأن النتائج أصبحت كارثية وقُتل الآلاف من المدنيين،

ولكن هؤلاء الفقهاء – غفر الله لهم– لا يعلموا شيئاً عن واقع غزة وطبيعتها الجغرافية، وتربتها، وإلى غيرها من العوامل التي تساعد المقاوم في عمله، فمسألة أن يعيدوا النظر في تكتيكاتهم العسكرية وأماكن تواجدهم، يضحك الطفل منّا على هكذا اقتراح وفتوى..

أما بالنسبة للإيقاف المؤقت، فالذي يسمع خطابهم يقول أن المقاومة هي من تملك زمام أمور المعركة ولا تريد إيقافها، والذي يرى بالعين المجردة ويسمع الأخبار والصحف يدرك جيداً كم مرة قدمت المقاومة الكثير من التنازلات وتعاملت كثيراً مع الأوراق المقدمة من الوسطاء من أجل الوصول إلى نتائج توقف هذا الحرب، حتى لدرجة أنهم قد سلموا يوماً الأمريكان أسيراً عسكرياً كان الممكن أن يُخرجوا مقابله مئات الأسرى الفلسطينيين، ولكنهم أخرجوه بدون مقابل كحسن نية منهم لكي يتمكن الوسطاء من تقديم المزيد من الجهود لإيقاف هذه الحرب،

وفي النهاية يخرج العدو فينسف كل الجهود ويتمنّع ويطالب بسحق غزة ورجالاتها وما تبقى منها.

وهذا الأمر مضحكٌ أكثر من الذي سبقه،

غفر الله لكم فقهائنا المبجّلين فإما أن تصمتوا أو تصمتوا.

وإننا قياساً على الواقع وهذا العدو المتغطرس الذي يضرب القوانين الدولية عرض الحائط ولا يأبه لشيء، نرجّح راي الفقهاء الذين يرون أن العدو هو من يتحمّل المسؤولية، وأن دفع الصائل مشروع ولو ترتب عليه خسائر بشرية، ما دام لا يمكن دفعه بغير ذلك.

كما يجب على الفقيه أن يدرس الواقع جيداً، قبل أن يدلي بآرائه وأفكاره ويصدر الفتاوى، فلا يكون بذلك عوناً للشيطان على إخوانه، وشيطاناً وسيّداً في المرجفين والمثبطين والقاعدين.

وللأسف قد خرج علينا من غزتنا بعض شيوخ المدينة المبجّلين كما وصفتهم أبواق العدو، وكنّا قد أدركنا سقوطهم حين تغنى بفتواهم العدو وناطقوه الرسميين، وتغنوا بهم وأشادوا، وقد أصبحوا عوناً للعدو على إخوانهم الشرفاء المستضعفين.

ومن الأشياء المضحكة الذين أدلوا بها، وتستغرب كيف تخرج من أفواههم!

يأمرون المقاومة بالانسحاب من أرض المعركة قياساً على ما فعله خالد بن الوليد في إحدى معاركه؟!

وتارةً أخرى يحملون المهمة عوضاً عن العدو، فتراهم يطالبون المقاومة بتسليم السلاح، ويعلن بالفم الملآن فلتخرج المقاومة، فقد أثبتت فشلها وهي لا تصلح؟!

قد سخر الله لأمثال هؤلاء بعض العلماء الذين فتح الله عليهم وقد ردّوا عليهم وأسكتوهم، حتى منهم من كتب في مقدمة مقاله عنهم: " انصحوا المبجّلين ألا يكتبوا فكلما كتبوا سقطوا ".

وقد كنت يوماً من الأيام أسير في إحدى مخيمات النزوح في الوقت الذي شاعت فيه خطاباتهم الركيكة وطعنهم في المقاومة، سمعتُ رجلاً طاعناً في السن يقول عن أحدهم: " المصيبة أنه شيخٌ وعالم جليل "، فسألته من تقصد؟ وما الخطب؟

فقال: " شيخُ المدينة المُبجّل! –هكذا وصفه العدو وأبواقه بعد خطاباته التي وافقت خطاباتهم والتقت في نفس النقطة واجتمعت على ذات الجماعة– فقلت للرجل: وماذا يقول هذا الشيخ؟ فقال، يقول: " الأصل أن نستدعي في هذه الأوقات فقه الموازنات، فالاستمرار في القتال يزيدنا ضحايا من الأبرياء، والقتال أصبح استنزافاً ولم يحقق نصراً فعلياً، وبالإمكان أن نحل ذلك بالتراجع التكتيكي حفاظاً على ما تبقى منّا ".

ليرد الرجل البسيط بكلماتٍ وقعهن عظيم:

" إلى أن يكون التراجع يا شيخنا؟ نتراجع ونحن في أرضنا ندافع عنها؟

إلى أين يكون التراجع يا شيخنا؟ التراجع الذي يريدونه يا شيخنا هو تسليم السلاح وأنت توافقهم ذلك وقد غابت عنك آية تقرأها مراراً وتكراراً قال تعالى: " ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدة ".

يغفلوا فيميل العدو ميلةً واحدة، فكيف بتركه يا شيخنا!؟ "

لمَ كنت لهم بوقاً يا شيخنا؟

أما يكفيك كثرتهم ونحن قلة على كثرتنا ولكنها كثرة كغثاء السيل!!

أسأل الله ألا يختم لك على ذلك وأن يهديك سواء السبيل، وألا تكون جسراً عبر به الكثيرون نحو الجنة ثم أُلقي به في النار.

وإن من التحديات الفقهية التي لا يجب غض النظر عنها في القطاع في ظل الأزمة التي تواجهنا، هي انعدام وفرة المال " السيولة المالية " فواجه السوق شحاً كبيراً في النقود المتداولة فيه إما لقلتها أو لاهترائها وتمزقها فقد مر وقتٌ طويل على عدم دخول الأموال إلى القطاع في ظل أزمة إغلاق البنوك والمصارف وكذلك المعابر، فأصبحت الأموال متراكمة في البنوك، ونتج عن عدم القدرة على سحبها أن الناس لم يستطيعوا سراء حاجاتهم ومستلزماتهم، فلجأوا إلى البيع والشراء عبر التطبيق البنكي، وهذا لا حرج فيه وقد كان متاح في حالة السّلم، ولكن التغيير الذي طرأ عليه هو أن أصحاب البضائع صاروا يضاعفون الأسعار التي يتم بيعها عبر التطبيق البنكي فتجد سعر التطبيق البنكي أكثر من سعر الكاش " الدفع نقداً "،

وهذا ما أدخلهم في حالة الربا، وقد شاع الأمر في الأسواق وأصبح البيع عبر التطبيق وكأنه مال لا قيمة له، فوصل الأمر بالأسعار إلى أن تصل أكثر من عشرين ضعف عن سعرها الطبيعي، خرج بعض الفقهاء والعلماء وأوضحوا للناس مراراً وتكراراً حجم هذا الأمر ومدى خطورته وتأثيره على المجتمع، ولكن للأسف بلا جدوى، فهذا ديدن الحروب حين تغيب الرقابة والمحاكمة فتفلت الأمور وتخرج عن السيطرة، فأمر أهل الأمر الناس بمقاطعتهم ولكن لم يكن من ذلك جدوى لأن الأمر قد وصل بالناس إلى ما لا يتخيله العقل من المجاعة وضيق الحال، فبدأوا يخبرون الناس بالتقليل من هذا التعامل والحرص على استفراغ كآفة الوسائل في توفير المال نقداً، قبل أن تدخل في مرحلة الاضطرار فتضطر للتعامل في الربا،

حتى وصل بهم الأمر ليصلوا إلى مرحلة لم يكن موجوداً فيها سوى الربا المتفشي في معاملات التطبيق البنكي فاضطروا للتعامل به، فالقاعدة الشرعية: " الضرورات تبيح المحظورات "، والحفاظ على النفس من الهلاك من الضروربات الخمس في الإسلام.

ومن الأمور التي واجهت القطاع حين وصلت الأزمة ذروتها نتيجة إغلاق المعابر وانعدام كآفة البضائع في الأسواق وقد تغلغلت المجاعة في أهل القطاع ووصلت مبلغاً عظيماً، قام العدو بطريق من طرقه التي يحاول فيها قتل الناس وأسرهم وإذلالهم، فأقام فيما يعرف " نقاط المساعدات الأمريكية "، أو بالأحرى " مصائد الموت "،

تلك التي كان يقتل فيها الناس المجوّعين ويأسرهم ويتفنن في كيفية إذلالهم حين يجبرهم على أن يمكثوا فوق الرمال الحارقة في منتصف النهار في ذروة حرارة الشمس رجالاً ونساءً لساعات متواصلة ومن يرفع رأسه يكن شهيداً على الفور، ثم يسمح لهم بالدخول وأخذ فتات من طعام لا يسمن ولا يغني من جوع، فقد حذر العلماء في بدايتها مراراً وتكراراً من الذهاب إلى تلك النقاط وتحريم الذهاب نحوها،

لأنها تودي بالناس إلى الهلاك فمن ينجو منها مرةً لن يسلم المرة التي تليها، غير أنها تحقق بعض أهداف العدو حين يستدرج بعض الرجال والنساء ويأسرهم ويضعهم في غرف التحقيق المتواجدة في مناطق تسليم الطعام فيأخذ منهم المعلومات وغيرها، ولكن الأمر في النهاية وصل إلى أشد ما يكون، فحدث طارئ وتغير خطاب العلماء عن تلك الفتوى التي أدلوا بها بادئ الأمر تبعاً للواقع، وهذا ما على الفقيه أن يجده– دراسة الواقع جيداً وألا يتعنت لفتوى في زمنٍ غير الزمن الذي وقعت فيه الواقعة المستجدة – فأخبروا الناس بجواز الذهاب إلى هناك ولكن بشرط أن يكون فعلاً بحاجة إلى طعامٍ وشراب ولا يمّكنه من ذلك إلى الذهاب إليها، وكذلك أن يأخذ على قدر حاجته وقوت يومه وليس له أكثر من ذلك، ولا ينبغي له أن يأخذ فوق حاجته وينزل بها في الأسواق ويبيعها للناس بأسعار باهظة، فيزيد من الأزمات ويضيق على الناس وهذا ما رأيناه وبكثرة في ذلك الوقت، ويبرر هذا بأنه يخاطر بروحه حينما يذهب لهناك، وكأن ذهابه إليها وتجارته منها مفروضٌ عليه.

والأقذر من ذلك–أعزكم الله– الذين يجمعون الأموال النقدية الموجودة في الأسواق ويتاجرون بها وهم الذين يعرفون ب " تجار العمولة " أو " تجار الربا " فيأخذون الأموال من الأسواق فيبيعونها للناس على نسب متفاوتة يصل بعضها إلى 50% تبعاً لجودة الأموال فكلما كانت جودة الأموال أكثر كانت النسبة أعلى،
فتخيل معي أنك بحاجة إلى سحب أموال بقدر 1000 شيكل نقداً يأخذون نسبةً عليها 50% فيعطونك منها قرابة 490 شيكل!!
تعطيهم 1000 عبر التطبيق البنكي فيعطونك 490 نقداً.؟!

وحينما كنّا نقول للناس أننا نجيز لهم ذلك اضطراراً من الحالة الصعبة التي وصلنا إليها، أخبرناهم أننا في حالة ضرورة وأن الضرورات تبيح المحظورات، ولكن يبقى

رباً وحكمه حرام أصلاً لكن للضرورة أجيز التعامل به، وذلك من باب التيسير على الناس والرخص، وإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– التحديات الاجتماعية.

لا تكتفي الحرب بحصد الأرواح وهدم البيوت، بل تتجاوز إلى ما هو أصعب وأمرّ، ألا وهو ضرب العمق الإنساني وهدم البنية الاجتماعية فتفكك المجتمع وتترك أثراً عميقاً في الأسرة والمجتمع.

فمن التحديات الاجتماعية، قتلُ المعيلين:

آلاف الأسر تفجع بفقد الأم أو الأب أو كلاهما، مما يخلّف فراغاً نفسياً ومادياً في الأسرة، فيتحمل الأطفال والنساء أدواراً لا تليق بهم، وغير مألوفة بالنسبة إليهم فيحدِث ذلك حالةً من الضغط الاجتماعي ونقصاً في الجانب العاطفي،

فتزداد حالات الاختلاط المجتمعي التي لم تكن في حالة السّلم فتبدأ العقبات تبرز والقلوب الضعيفة تظهر، فتسمع عن حالاتٍ تخجل من ذكرها والحديث عنها، فكم من حالة انفلات أخلاقي عند الشباب نتجت عن انعدام الرقابة والردع مع الوضع القائم وكذلك تأثر الوازع الديني فيهم.

والتشظي الأسري بسبب النزوح، فالعائلات تتفرق بين مراكز الإيواء والمخيمات هنا وهناك، فتحدث فجوة بينهم، ربما تتفكك من خلالها العلاقات الأسرية أو تضعف على أقل تعبير.

لا يخفى على الذي عاش التجربة الصعبة ورأى الصور والفيديوهات التي تصوّر الخيام ومراكز الإيواء مدى انعدام الخصوصية نتيجة المساحات الضيقة وتلاصق

الخيام بعضها ببعض، فينتج عن ذلك مشكلات تربوية وسلوكية وتراجع لحالة الشعور بالأمان.

وإن الحالات الإنسانية تزداد صعوبةً كلما ازداد الوضع مأساةً، فتكثر معدلات الاكتئاب والقلق والاضطراب فيما بعد الصدمات خاصةً عند الأطفال والنساء، وأسوء النتائج حين تنظر للمجتمع فتجد القيم والمفاهيم المتعارف عليها مرتبطة بالنجاة لا بالبناء.

* دور الخطاب الديني في التماسك المجتمعي..

يُعد الخطاب الديني عنصراً حاسماً في تعزيز الصمود أو زيادة التوتر والانقسام حسب طبيعته ومضمونه.

المجتمع بحاجة إلى خطاب مواسٍ وواقعي،

فالناسُ لا يحتاج إلى أحكام شرعية فقط، بل لا بد من الخطاب الديني الذي يراعي الألم والضعف الإنساني، فيجب استحضار النصوص الدينية التي تحكي عن المآسي والأزمات ويجب أن تُنتقى بعناية، فيعزز من خلالها الرجاء لا القنوط، وكذلك الانتقال بالناس من المستوى الدنيوي إلى الأخروي، الحديث معهم عن الجزاء والعقاب، فكما الترغيب حاضرٌ في خطاباتنا يجب أن يكون الترهيب كذلك.

* خطورة الخطاب المتشدد:

فكم من خطبة وفتاوى تفتقر للحكمة والرحمة، فتحمّل الناس فوق طاقاتهم وتزرع فيهم العجز والسلبية.

ومن المؤسف والذي يقع فيه الخطباء أن يستخدموا الخطاب الديني، في تبرير المعاناة وهذا لا ضيرَ فيه ولكن ينبغي أن يقدّم لهم من خلاله الحلول المادية والمعنوية، حتى لا يضعف الثقة بالخطابات الدينية، فنحن بحاجة إلى خطابات رزينة متزنة ومدروسة، ترفع الناس إلى مستوى عالٍ من الصبر والتحمل وفي ذات الوقت لا تنزل بهم إلى القاع من العجز والسلبية.

* وفي سياق الحديث عن الخطابة والدعاة، أقول ما قاله شيخي نائل –رحمه الله–: " لقد أخطأنا نحن كدعاة حين نزلنا بالناس في خطابنا إلى مستوى الرغبات بدلاً من أن نأخذ بهم إلى مستوى الواجبات، فقلنا لهم: " اصبروا على مشروع المقاومة "، كان الأولى بنا أن نقول لهم: " انخرطوا في مشروع المقاومة" ".

كم نحن بحاجة إلى دعاة يحملون هذه الأمانة وينقلونها على الوجه الصحيح، ولا ينتظرون إطراءً وإعجاباً، ولا يخافون في الله لومة لائم، فلقد سئمنا من الخطابات التي تبثّ في الناس الانتكاسات والضعف وقلة الحيلة والعجز، تلك التي تُفقد الناس وتثبطهم حتى الخطابات التي تجعلنا أساطير، لا بد مع أول اختبارٍ حقيقي أن تسقطنا وتعرّينا فتبرز النقص الذي فينا، فعلينا أن نوازن بين هذا وذاك،

* لا بد وأن الحرب قد تركت في الناس فراغات كثيرة تحتاج إلى إعادة ترميم وضبط، فهم بحاجة إلى مربين ودعاة يقودونهم نحو المقام الرفيع يعيدون فيهم الارتباط بالروح بعد أن طغت عليهم المادة، وإن ذلك يحتاج إلى مجاهدةً لا تقل عن مجاهدة العدو، فالجهاد لا يُخاض فقط في الخنادق بل أيضاً في القلوب والعقول،

وفي قدرة المجتمع على إعادة نفسه وقيمه، وإن أهل الخنادق قد أدّوا ما عليهم ونحسبهم قد اجتازوا الاختبار، وتبقى الأمر عندنا فماذا عسانا نفعل؟

الفصل الثالث: أثر الجهاد الغزي على الأمة الإسلامية.

لا شك في أن المقاومة في غزة بجهادها قد ضربت عرض الحائط الهاجس الذي صنعه الخوف وحالة الانبطاح العربي والإسلامي الذي يسمى " إسرائيل العظمى " الدولة العظمى والقوة الرادعة للشرق الأوسط!

فكلّ هذه المسميات المزيفة التي كانت تبرز على الصحف والمقالات والمواثيق الكاذبة لم يبق منها شيء يذكر على أرض الواقع، بعد أن قامت حركة إسلامية – لا تتعدى إلا أن تكون فصيلاً في الدول العسكرية الكبرى ولربما أقل من ذلك– باقتحام الدولة المزعومة وقتل جنودها وأسر بعضهم، وصارت تجول وتصول في عقر الديار بشعارٍ " لا غالب إلا الله "، على مرأى العالم أجمع، والكل تحت الصدمة من هول الموقف، حال لسانهم الدولة العظمى تُخترق براً وبحراً وجواً؟!

ولا نخفي أنه كان يوماً مميزاً شعرنا فيه بلذة الانتصارات والفتوحات التي كنّا نسمع عنها ونقرأها في الكتب والمجلات، وكأنّه عيد للمسلمينٌ أعادت فيه المقاومة الروح والإصرار والعزيمة في قلوب المسلمين، وثب الأمل فيهم بأن النصرَ قادمٌ بلا محالة،

وبأنّه أمرٌ طبيعي لا يحتاج إلى معجزات بقدرِ ما يحتاجُ إلى رجالٍ يؤمنون بحقوقهم ومشروعية استردادها وأن الذي يؤخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن الرقص على الأطلال وكتابة القصائد والأشعار والمقاومة بحب لا تجلب لك إلا الخزي والعار.

وإن من عظيم فعلها بأنها أصبحت ملهمة للشعوب المضطهدة المستضعفة التي ترى نفسها قليلة، ورفعت عنهم حواجز العجز والقعود، مؤكدةً على أن المقاومة لا تحتاج إلى أعتى الطائرات من الطراز العالمي حتى تدافع عن أرضك وعرضك.
وقد قوّت العزيمة لدى الحركات التحررية حول العالم، وانتظر نتائج ذلك بعون الله مع مرور الوقت.
ومن نعم الله على المسلمين بأن كشفت هذه المحنة المنافقين المندسين في الصفوف، والذي كانوا يتخفّون في لباس الدين، فانكشف أمرهم وافتضح أمرهم وخيانتهم، وبذلك يحذر منهم المسلمون ويمقتونهم.
فلقد تجاوز الجهاد الغزي كونه حالة محلية محصورة في بقعة صغيرة محاصرة، ليغدو قضيّة أمة وترجع القضيّة لمسارها الصحيح،
الجهاد فيها ملهماً للشعوب، ومحركاً للمياه الراكدة في كتب الفقه وما يتعلق به، كما أنه حرك الفطرة الإسلامية الكامنة في القلوب، فالطائفة التي لا تمتلك جيشاً نظامياً ولا حماية دولية ولا حلفاء، استطاعت أن تعيد للأمة روح الكرامة والصمود، وتحريك الفقهاء والمفكرين والدعاة والمؤثرين لإعادة قراءة الواقع برؤية ناضجة بعيدة عن الجمود والخور والهوان.
ولا بد للشعوب حين تنكشف لها النماذج الحقيقية المشرّفة وترى عظيم فعلها أن تنهض من سباتها وتعيد التفكير في شؤونها.

أثبت الجهاد الغزي أنه لا شيء يتفوق على عقلية المقاتل الذي يُصنع على عين الله،

وإن الأمة التي فيها أمثال هؤلاء لا يمكن أن تموت، فإن الأمة التي لا تجيد صناعة الموت لا تستحق الحياة.

اللهم إنا نشهدك أنهم كانوا في الناس أهل بقيّة وأثر وأننا قد رأينا منهم عظيم بأسٍ وإقدام فاللهم مكّن لهم وسخّر لهم جندك واكتب لهم النصر المؤزر عاجلاً غير آجلٍ يالله.

وإن الذي ينظر إلى الجهاد منشئ لحالات الفلتان والخذلان التي تبعت الحرب فهذا واهم، فالحال الذي وصلنا إليه قد كشف عن ذلك الأمر المزروع في دواخلهم، وهذه سنة الله في خلقه " ليميز الله الخبيث من الطّيب "، وفي السّلم الكل سواسية وحين تأتي المصائب تتباين الناس وتبرز معادنهم وخفاياهم.

الفصل الرابع: السلاح في غزة.

يعد السلاح رمزاً للقوة والسيادة، ووسيلةً للدفاع عن النفس والأرض، فمنزوع السلاح معدوم القوة فاقداً للسيادة واتخاذ القرار وتسيير الأمور بالكيفية التي يراها، ولا يطلق مصطلح السلاح على السلاح النووي والأسلحة المتطورة فقط، بل يشمل كل شيء يمكّن المواجهة من خلاله، بدءاً من الحجارة والمقلاع والسيف والسكين مروراً بمراحل تطوره عبر الحقب الزمنية وصولاً إلى السلاح الناري والطائرات الحربية والذخائر الثقيلة وأخيراً إلى ما وصلوا إليه من تطور إلى حد الآن، فكلّ هذا يدخل تحت في دائرة السلاح.

وعلى إثر هذه الحرب التي يمر بها القطاع نسمع أصواتاً من هنا وهناك تتحدث عن نزع السلاح لأن ذلك سيحقق السّلم والسلام، ويعمل على إنهاء الحرب!

ولقد شهد التاريخ العديد من الوقائع التي تم فيها هذا الأمر، وقد أثر على مصير الشعوب والدول.

ففي هذا الفصل سنعرض أبرز هذه الوقائع التاريخية، ونرى ما ترتب على تسليم السلاح من آثار سياسية واجتماعية واقتصادية.

- أولاً: تسليم السلاح ونزعه:

تسليم السلاح يشير إلى التخلي الطوعي أو القسري عن السلاح من قبل الأفراد أو الجماعات أو الدول.

ونزع السلاح يقصد به الإجراءات المتخذة لتقليل أو إزالة السلاح من منطقة معينة، ويكون ذلك من خلال المعاهدات الدولية أو القرارات الأممية أو اتفاقيات بين أطراف النزاع.

- ثانياً: وقائع تاريخية:

1. الحرب البونيقية بين قرطاج (146-149 ق.م)

تعد هذه الحرب من أشرس الحروب في ذاك الوقت، قرطاج قدمت فيها مقاومةً شديدة، فُضرب ببسالتها وشجاعتها آنذاك الأمثال، ولكنها رضخت لروما واستجابت لطلبها بتسليم جميع الأسلحة والمعدات الحربية التي تمتلكها قرطاج، وبعدها طالبت روما قرطاج بنقل سكانها إلى مدينةٍ أخرى، وأُخذ من سكانها آلاف العبيد،

وتم تدمير مدينة قرطاج تدميراً كاملاً، وأحرقت مبانيها وسويت بالأرض، واختفى وجود الدولة القرطاجية تماماً ككيان سياسي، حتى أن الجنود الرومانيين أبدعوا في قهر القرطاجيين فقد قاموا بحرق آلاف المعدات الحربية التي قام الجنود القرطاجيين بتسليمها أمام أعينهم على أعتاب المدينة،

فبعد أن كانت المدينة القرطاجية يضرب بها المثل، أصبحت عبارة عن مقاطعة رومانية، وأصبحت مضرباً للأمثال في مخاطر نزع السلاح من الدولة تحت أي تهديد.

2. اليهود في ألمانيا (1930):

مع صعود هتلر إلى سدة الحكم، تم منع اليهود من امتلاك السلاح تحت ذريعة الأمن والنظام، وبعد مدة تعرض اليهود للإبادة الجماعية (الهولوكوست) فلم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم أما جبروت هتلر والقمع والإبادة التي أوقعها فيهم.

3. البوسنة في سربرنيتسا (1995):

سُلمت المدينة للأمم المتحدة باعتبارها "منطقة ءامنة" وتم نزع سلاح المسلمين البوسنيين، وبلا شك صرت أيها القارئ تدرك النتائج، فقد هاجمت القوات الصربية المدينة، ولم تقم القوات التابعة للأمم المتحدة بحمايتها فوقعت المذبحة وراح ضحيتها أكثر كم 8000 مسلم أعزل.

4. الهنود الحمر في أمريكيا الشمالية:

بعد مقاومة طويلة أُجبر كثيرٌ من القبائل على تسليم سلاحهم مقابل اتفاقيات السلام، والنتيجة حتماً لا محالة نُقضت المعاهدات، ضُربت الاتفاقيات في عرض الحائط، سَلبت أراضيهم، وأبيد جزءٌ كبيرٌ منهم!

5. الشراكسة في القوقاز (القرن19):

خاضوا حروباً طويلة امتدت مع روسيا لسنوات، ومن ثم قام بعض قادة الشراكسة بتسليم السلاح بناءً على الوعود المتعارف عليها " وعودٌ بالأمان"، فتم تهجيرهم قسراً وقَتل عشرات الآلاف منهم.

6. صبرا وشاتيلا (1982):

واشتهرت باسم " مجزرة صبرا وشاتيلا "، ففي عام 1982 بعد اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان، وبدعم من بعض القوى اللبنانية فرضت إسرائيل على منظمة التحرير الفلسطينية "بقيادة عرفات" مغادرة بيروت، مقابل ضمانات دولية بحماية المدنيين الفلسطينيين في المخيمات وعلى رأسها صبرا وشاتيلا.

فبعد تسليم السلاح والخروج من بيروت بموجب اتفاق رعته الولايات المتحدة وفرنسا، وبعد أيام من هذا الاتفاق في 16–18 سبتمبر 1982، ارتكبت المليشيات الكتائب اللبنانية المتحالفة مع إسرائيل مجزرة صبرا وشاتيلا التي استهدفت المدنيين العزّل كم نساءِ وأطفال وشيوخ، وسُجلت على أنها واحدة من أبشع المجازر في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي.

وبعد هذا كلّه نسمع أصواتاً تهمس وأخرى تصرخ فكلٌّ على قدر قذارته تطالب بنزع السلاح من غزة من أجل الأمن والسلام؟!

وإن الذي يتغيّب عن قراءة التاريخ ووقائعه يُعرّض نفسه لتكراره مرةً أخرى، فما لكم كيف تحكمون؟ أم عندكم كتابٌ فيه تدرسون؟

وإن الذي يستهزئ ويقول: " أيّ سلاح ذلك الذي نملك؟ لكي نطالب بتسليمه " – سخريةً وانتقاصاً– لا بد وأن يعرف أنه مهما كان ذلك السلاح فإنه مؤثر وموجِعٌ، ولو أنه لم يكن كذلك لما سمعت العدو يطالِبُ بنزعه.

النتائج والتوصيات:

– الجهاد فريضة في شريعتنا الإسلامية وضرورة لحماية النفس والعرض والدين في ظل الاعتداء والاحتلال يلجأ إليه المستضعف من كل الطوائف والديانات بالفطرة.

– تبيّن أن التحديات الاجتماعية والفقهية التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم تتطلب إعادة تأصيل فقهي متزن يوازن بين الثوابت الشرعية والمستجدات الواقعية.

– على الفقيه المكلّف بالفتوى أن ينظر للواقع بصورة موسعة ويدرس كآفة الأوضاع قبيل الإدلاء بالفتوى، حتى لا يقع في باب التشديد على الناس أو التساهل معهم.

– لا شك في أن واقع غزة الجهادي طابق وبشكل كبير الفقه الجهادي في الإسلام.

– أن الذين كذّبوا الجهاد الغزي وحقيقته ودلسوا على الناس بخطاباتهم المسمومة بحجة فقه المآلات والموازنات والمصالح والمفاسد، لم تكن دقيقة ولم توضح بالشكل الذي من المفترض أن توضح فيه وتلم كآفة التفاصيل والوقائع حتى تصل لدرجة الإنصاف وتكون النتائج متزنة وسليمة وواقعية وعقلانية.

– أظهرت وقائع التاريخ أن الأمة التي تتخلى عن أدوات قوتها –مهما كانت– تفقد هيبتها وتُعرّض نفسها لخطر الإبادة، وأن الأمة لا تستعيد كرامتها إلا بامتلاك أدوات الدفاع، وأن الاستسلام لا يؤدي إلا إلى الإذلال والخنوع.

التوصيات:

– التمسك بالثوابت الشرعية في مسائل الجهاد والدفاع مع مراعاة فقه الواقع.

– دعم بناء الوعي المجتمعي لدى الشعوب حول خطورة سردية العدو وخطاباته المسمومة.

– تحذير الشعوب من الانسياق خلف أكاذيب العدو التي تبرز فوائد تسليم السلاح لضمان الأمن والأمان، ولفتهم إلى الاستفادة من دروس التاريخ في هذا الأمر.

– توصية المؤسسات الاجتماعية والفكرية والعسكرية بتفعيل الخطاب المتزن حول فقه المقاومة، لنبتعد عن نظريات الأساطير المزيفة والضعف اللذان يقودان إلى الانتكاسات.

– الحذر من الانسياق السياسي الذي يقود عبر خطوات ناعمة تبدأ بالتنازلات البسيطة ثم تؤول بنا نزع السلاح وفقد السيادة والهوية.

– تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تأخذ الناس من مستوى الرغبات إلى مستوى الخطاب الشرعي والحاجات.

– حفظ كآفة سرديات المقاومة التي انتزعت من العدو ما أرادت،
وكذلك سرديات الدول التي أعلنت استسلامها حتى يكون التاريخ شاهداً عليهم، وأن تستفيد الأمم من هذه التراكمات وألا ترجع إلى نقطة الصفر.

تم بحمد الله.